**المحاضرة رقم 04:**

# المقال الأدبي في النثر الجزائري الحديث.

## 1- مفهوم المقال:

المقال من بين الفنون النثرية التي حظيت باهتمام الكتاب والنقاد، لما له من تأثير، وقد «مضى على نشأة المقال أربعة قرون أو تزيد. ولكن الدراسات المتصلة به ظلت على الدوام نادرة. وربما تعود هذه الندرة إلى طبيعة المقال الخاصة. فهو عصي على الحد وعلى التقيد بشكل منه مضبوط. وحتى الموسوعات والقواميس المختصة لم تلتفت إليه إلا بالقدر الضئيل.» [1]

ولقد نسبت نشأته إلى دول الغرب؛ فهم السباقون لضبط تعريفاته، وخصائصه، و«تجمع مراجع التاريخ الأدبي على مر العصور أن الكاتب الفرنسي ميشيل دي مونتين، هو رائد المقالة الحديثة في الآداب الأوربية.» [2]

ومن خلال الدور الذي مارسه المقال في ساحة الأدب مع مختلف التحولات التي لحقت به، «فالمقالة في حقيقتها شأن سائر فنون الأدب الأخرى تقوم على ملاحظة الحياة، وتدبر ظواهرها وتأمل معانيها. وهذه ظاهرة نفسية رافقت الإنسان منذ ظهوره على وجه الأرض.» [3]

ويمكن أن نستأنس بتعريف محمد يوسف نجم الذي يرى أن «المقالة الأدبية قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق. وشرطها الأول أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب.» [4]. وحتى يظهر الكاتب شخصيته، ينبغي أن يبرز مواطن قوة تأثير أفكاره وذلك وفق الصياغة اللغوية المناسبة للمقام، ففي الوعظ يجب أن يكون واعظا، وفي الثورة يجب أن يكون ثائرا، وفي مجال العاطفة ينبغي أن يكون صاحب وجدان «فالعدد الكبير من أمهات الكتب التي أسهمت في التطوير الأدبي، وفي البحث عن أصالتنا الخاصة من خلال التيارات التي تمور بها حياتنا الأدبية، وفي تناول قضايانا الأدبية والنقدية. هذا العدد من الكتب الذي نهض بهذه الوظيفة يضم مجموعة من المقالات نشرها كُتّابها أول الأمر في المجلات والصحف، ثم جمعوها في كتب أصبحت اليوم جزءا من تراثنا الحديث، ولعبت أكبر الدور في تطوير حياتنا الأدبية والفكرية.» [5]

## 2- المقال في الأدب العربي:

---

[1] ) أحمد السماوي: المقال الأدبي. مسكيلياني للنشر. دت.ص35.
[2] ) محمد يوسف نجم: فن المقالة. ط4. دار الثقافة بيروت. 1966. ص7.
[3] ) المرجع نفسه. الصفحة نفسها.
[4] ) المرجع نفسه. ص95.
[5] ) عطاء كفافى: المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث. هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. ط1. مصر 1985. ص65.

الأدب العربي القديم أدب زاخر بأشكال أدبية متنوعة. وإذا كان بعض منها لا يستجيب للشروط الأجناسية الحديثة؛ فإن التشابه على درجة كبيرة. «وليست المقالة العربية غريبة عن الأدب العربي القديم، وإن تغيرت صيغها وشروطها، فعبد الحميد الكاتب حين تكلم عن الشطرنج أو الصيد، أو الكتابة كان يكتب شيئا قريبا من المقال، والفصول الأدبية التي أنشأها الجاحظ في كتبه: البخلاء، والمحاسن والأضداد، والحيوان، والبيان والتبيين، مقالات مطولة تنقصها شروط المقالة الحديثة.»[1]

مرت المقالة في الصحف المصرية بأربعة أطوار حسب رأي محمد يوسف نجم. ففي الطور الأول ويمتد حتى الثورة العرابية. ومن روادها: رفاعة الطهطاوي. وعبد الله أبو السعود. والمرحلة الثانية. وهي المرحلة المتأثرة بدعوة جمال الدين الأفغاني. ومن الرواد محمد عبد، وإبراهيم المويلحي. وعبد الرحمان الكواكبي. أما المرحلة الثالثة فمن روادها مصطفى كامل، وولي الدين يكن. أما المرحلة الرابعة فهي المرحلة التي جاءت على إثر الحرب العالمية الأولى. وارتبطت بأحداث عربية كبيرة مثل ثورة 1919. ومن الرواد محمد تيمور، ومحمود تيمور، وطه حسين، ومحمد حسين هيكل، والمازني. [2]

## 3- **المقال في الأدب الجزائري**:

ظهر المقال في الأدب الجزائر، وهو مقترن بجملة من الظروف على رأسها الحقبة الاستعمارية الفرنسية التي ألقت بثقلها الاستبدادي في محاربة كل ما هو جزائري عربي. وعلى الرغم من ذلك ساهمت بعض الظروف في ظهور المقال الأدبي «مثل الصلة بالمشرق واقتفاء الكتاب والأدباء لأثر المشارقة إلى جانب الحركات السياسية والإصلاحية التي لعبت دورها في هذه اليقظة الفكرية.» [3]. ومن الرواد رمضان حمود. وأحمد رضا حوحو. عبد الحميد بن باديس. الزاهري. العربي التبسي. مبارك الميلي. البشير الإبراهيمي...ومع هذا «لم تختلف المقالة في الأدب الجزائري من حيث نشأتها عن نشأة المقالة في الأدب العربي الحديث، في مصر والشام. فإنها هي الأخرى لم تعرف منشأ غير الصحافة العربية في الجزائر.» [4]. ومثل هذا الفضل جعلها ترتقي في ساحة الأدب، وتضع لنفسها قدما راسخة في البروز والتأثير المساير لمختلف تحولات المجتمع من مرحلة إلى أخرى. «كما كانت المقالة أسبق من الشعر غالبا في عرض القضايا الوطنية والمشكلات الاجتماعية ومعالجتها. ثم جاء الشعراء بعد ذلك وجعلوا من أنفسهم الصف الثاني من صفوف المصلحين في المجالين الوطني والاجتماعي.» [5]

والمقالة الأدبية في الجزائر ارتبط بظهور الصحافة. فقد كانت المنبر الحقيقي للذيوع، والانتشار. إضافة إلى عوامل أخرى مثل حب التعبير عن الرأي الذي نشأ عن الوعي

[1] ) عمر الدسوقي: في الأدب الحديث. ج1. دار الفكر العربي. د.ت. ص408.
[2] ) ينظر كتاب محمد يوسف نجم: فن المقالة. ص 65 وما بعدها.
[3] ) عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث.1830 – 1974. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر 1983. ص134.
[4] ) محمد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية. نشأتها. تطورها. أعلامها. من 1903 إلى 1931. المجلد الأول. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1978. ص38.
[5] ) عطاء كفافي: المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث. ص66

الثقافي. وأيضا احتدام الصراع الفكري بين المثقفين. (1). وقد أشار الأستاذ عبد الملك مرتاض إلى المقالة النقدية بتحفظ، نظرا لغياب الثقافة الأكاديمية، فقد جمعت بين الشتائم، تارة، وسيطرة العواطف والانطباعية تارة أخرى. إضافة إلى قلة النتاج الأدبي من قصة ومسرح. (2). وقد استحوذت على صفحات الجرائد التي كانت تصدر آنذاك مواضيع أخرى، منها ما يتعلق بالسياسة ونظام الحكم. ومنها ما يتعلق بالقضايا الاجتماعية التي شغلت الناس. مثل الفقر، والأمية، والظلم، والقهر، والاستبداد.

### 4- المقال الأدبي الجزائري، والتوجه الإصلاحي:

كان ظهور الصحافة في الجزائر مربوطا بفكرة التحرر؛ والتحرر أشكاله متعددة، فهناك التحرر من العبودية، وهناك التحرر من الأوبئة والأمراض الاجتماعية؛ مثل الجوع، والفقر، والجهل والأمية. هذا الأمر شحن الهمم، وفجر الوعي بالذات، والبحث عن سبل الخلاص، و«لقد بدأ اهتمام المقالة الصحفية الجزائرية بالإصلاح الديني قبل الحرب العالمية الأولى متمثلا في محاربة بعض الأقلام الإصلاحية للخرافات والبدع التي يبدو أنها كانت متفشية في المجتمع الجزائري آنئذ تفشيا فظيعا» (3). ومن أوائل من كتب في هذا الموضوع: عمر بن قدور، وعمر راسم وغيرهما...وقد انشغل معظم كتاب تلك المرحلة بالدعوة إلى محاربة الدجل، والتضليل خاصة ما يمارسه المشايخ الذين عينتهم الحكومة الفرنسية، لتلبية مشروعهم التهديمي، من خلال تكريس الشعوذة والطقوس البعيدة عن الدين الإسلامي.

عملت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ الوهلة الأولى من ظهورها على بعث مقومات الشخصية الجزائرية التي حاول الاحتلال الفرنسي طمسها. ولجأت وفقا لذلك، إلى جملة من الطرائق التربوية، والتعليمية، والإصلاحية التي من خلالها يمكن التأسيس لواقع جزائري مغاير، يتحصّن فيه الشعب الجزائري بمعاني الدين الصحيح، والتربية القويمة. وعلى هذا الأساس، دعت الجمعية إلى تحرير العقول قبل تحرير الحقول، وتطهير النفوس من دنس الدروشة، والطرائق الصوفية البعيدة عن تعاليم الدين الصحيح. وانتهجت سبل الرشاد، والموعظة، وتنوير العقول. ولم يكن الأمر يسيرا في ظل سنوات من العتمة، والتيه، وسياسة التضليل التي انتهجتها فرنسا التي طمحت إلى تدمير العقول، وتشويه النفوس. ولكن بفضل فئة من رجال الإصلاح، والوطنيين، الذين كرسوا حياتهم في سبيل التنوير، والتقويم، وسن سبيل الرشاد، استطاعت الشخصية الجزائرية أن تُبعث من جديد، مستمسكة بمكوناتها الحضارية الحقيقية، الضاربة في عمق التاريخ. متبنية شعار الإمام عبد الحميد بن باديس:

شَعْـــبُ الجَزَائِرِ مسلمٌ وإلَى العُرُوبَةِ يَنْتَسِبْ
مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أَصْلِهِ أوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذَبْ

---

1 ) عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931 – 1954. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 1983. ص85.
2 ) ينظر عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931 – 1954. ص 101 وما بعدها.
3 ) محمد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية. ص75.

واستكمالا لهذا المنحى، سار هؤلاء الرجال وفق ما سُطِّر، ودُبِّر من قبلهم، فجاءت كلماتهم على صحفهم سروجا منيرة في ليل الجزائر. ولا يمكن أن نتغاضى عن فكر البشير الإبراهيمي، والطيب العقبي، والعربي التبسي، والفضيل الورتلاني، ومبارك الميلي، وغيرهم...

وضمن هذا المجال، تستوقفنا مقالات وآراء أحد شيوخهم الكبار، وهو:

**5- الإمام (مبارك بن محمد الميلي):**

ويعد واحدا من أهم رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين حملوا على عاتقهم لواء الإصلاح الديني، والاجتماعي، والسياسي. وقد عكف على مواكبة مسارات الجمعية في خط الإصلاح، مرسخا أفكاره النيرة في المقالات التي كان يكتبها في الجرائد. والتي كان لها صدى كبير في الساحة الجزائرية، والعربية، والإسلامية. ومن بين الموضوعات التي كان يتناولها في كتاباته:

أ-نظام **الحكم:**

وشمل عدة مقالات تناولت قضية الحكم، ومن هذه المقالات نجد: الملوكية ضمن الجمهورية -العدالة بآثارها -المؤتمر الإسلامي العام للخلافة -الإمبراطورية العربية -جمعية العلماء بين الأمة والحكومة.

وهذه المقالات، على الرغم من قصر حجمها الذي كانت تفرضه ظروف النشر على صفحات الجرائد، إلا أن قيمتها السياسية، والمعرفية كبيرة، وهادفة، وتنم عن وعي سياسي كبير لديه، فهو لا يندفع بشكل متهور أثناء توجيه الانتقاد للسياسة الاستعمارية، وإنما يتوارى أحيانا ضمن عبارات مدحية، تخفي في باطنها نقدا لاذعا. فالإمام يطرح فكرة المواطنة من خلال التعرض إلى شبه مقارنة بين النظام الملوكي والجمهوري، مبرزا حيثيات هذا الطرح من خلال السياق الاستعماري الذي يحي فيه الإنسان الجزائري؛ فيرى أن:« نظام الملوكية هو النظام الواحد الذي عرفه الإنسان الأول، لذلك نراهم إذا أنفوا من البقاء تحت دولة وأمكنهم ضعفا من رغبتهم، أسسوا نهضتهم على قواعد الملك.»(1). وعمد إلى الإشادة بالأمة الفرنسية التي كانت أسبق الأمم إلى نظام الجمهورية، وأشدها تمسكا بمبادئه، وأتبعها في تحصيله، وأحرصها على بقائه(2). وعلى الرغم من ذلك؛ فإن هذا النظام قام على اللاعدالة، والتمييز العنصري، ويضرب مثلا على ذلك: «أن ملكا خبازا أغضبه جزائري كان جنديا للجمهورية، وقضى شبابه بالجندية، فجرد سلاحه للقضاء على حياته لأنه طلب منه استبدال قطعة من الخبز تضر بأسنانه عن المضغ ليبسها وعدم قدرته على ما يلين من خشونتها، ككل

1) أحمد الرفاعي شرفي: مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين. الإمام مبارك بن محمد الميلي. ج1. دار الهدى عين مليلة. 2011. ص 18.
) المصدر نفسه. ص2.19

جزائري، ولكن حال بينه وبين تنفيذ غرضه من القتل جماهير من الناس»(1). ولئن كان هناك شبه إشادة بالنظام الجمهوري الفرنسي في ظاهر الكلام؛ فإن في باطنه رفض للاستعباد، والميز العنصري، وضياع الحق الجزائري في العيش الكريم، وممارسة الحقوق. وقد أشار الباحث(شرفي الرفاعي) - في هامش الكتاب - إلى أن مثل هذه الإشادة تدخل فيما يعرف بالتقية (2).

ويعالج في مقال (**العدالة بآثارها**) حياة الذل، والهوان التي يلاقيها الجزائري (الأهلي) تحت نير الاحتلال الذي ضاعت فيه الحقوق، وقد يمنح أدناها للمتجنِّس. وبذلك تزول الحريات، وتكثر الفروقات، فـ «العدالة حق يطلبه الضعيف من القوي، ونصير يفزع إليه المظلوم، وحصن يلجأ إليه الخائف.»(3). وأمام هذه العنصرية المريرة، يرى المستعمرون أن يقظة الأهلي أشد عليهم بلاء من نزول البَرَد على غلاتهم، ومن كل جائحة، فهم يقولون: «إذا وجدت عربيا وأفعى فاقتل العربي» (4).

وضمن الخط السياسي، والفكر الإصلاحي الذي سار وفقه الإمام (مبارك الميلي)، تظهر الرؤية المتكاملة لتوجهه حين طرحت مجلة (الرابطة العربية) سؤالا عن إمكان إنشاء الإمبراطورية العربية إلى الزعماء، والمفكرين العرب، ومنهم (الميلي)، فردّ بتواضع العالم اللبيب، والمفكر العارف بجواهر الأمور: «أما بعد، فقد شرفتمونا بتوجيه أسئلتكم لنا عن إنشاء الإمبراطورية العربية، وأخجلتمونا بحشركم لنا ضمن رجال العلم والفكر من قادة الشرق، فإني عبد قليل الاطلاع لضيق مادة صحفنا وندرة التآليف الأدبية في وطننا بلغتنا...» (5). وبعد هذا التواضع في غير إذلال، يأتي رده على السؤال بحكمة الواثق في رأيه، المستمسك بعزيمته " إني أستنكر لفظ " الإمبراطورية" لأنه من مواد القاموس السياسي، والسياسة بمدلولها الحاضر ميدان الدسائس والوساوس، مبعث الحذر من الجار والتباس النصوح بالغدار، فتفقد الثقة ويضيع وقت الرجال باستخراج رموز الأقوال. والرشد أن لا يمس وضع " العالم العربي" الحاضر من الوجهة السياسية بأدنى تغيير."(6). ويبدو الحس السياسي بدقائق الأمور كبيرا. فالسياسات الاستعمارية الإمبريالية، كانت وما زالت تعمل على تغيير اسم العالم العربي، والمشرق العربي، والمغرب العربي بأسماء أخرى من مثل: الشرق الأوسط.

وفي مقال: جمعية العلماء بين الأمة والحكومة. يطرح (مبارك الميلي) خط السير السياسي الذي انتهجته الجمعية لتبلغ أهدافها؛ فقد اعتمدت المهادنة مع المستعمر، ومختلف الطرق الصوفية التي دأبت على الإساءة لتعاليم الدين الإسلامي الصحيح. فعلى الصعيد الاستعماري: يقر بأن الجمعية وقفت «موقف الأمين الحكيم، فلم تقصر مع الأمة فيما تستطيع

1) المصدر السابق. ص20.
2) المصدر نفسه. هامش ص21.
3) المصدر نفسه. ص42.
4) المصدر نفسه. ص44.
5) المصدر نفسه. ص271.
6) المصدر السابق. ص273.

القيام به لها، ولا خانتها في رغبتها وتعلقها طمعا في رفع ريبة الحكومة عنها، ثم هي لم تثر على قانون الحكومة ولا أحرجتها مضايقة الحكومة عن حد الاعتدال.» (1). وضمن هذا الإطار الذي رسمته، اعتمدت الخروج الميداني إلى المناطق الجزائرية لتقدم مواعظها عبر رجالها المخلصين، وأحيانا تتحاشى الصدام مع مشايخ وأنصار الطرق الصوفية. يقول: « بلغنا الواد بعد الزوال، فوجدنا رئيس ملحقته بالإدارة، ورأينا منه رجلا رزينا يقدر الرجال والأحوال، فأحسن مقابلتنا، ولكنه أظهر لنا مخاوف من اختلاطنا بالأمة، وإنه يخشى أن تهيج الفتنة بين أنصار الإصلاح وأصحاب الطرق، فمنعنا من الوعظ بالمساجد، وأذن لنا في الزاوية القادرية لأنها تحت تصرف الشيخ عبد العزيز بن الشيخ الهاشمي أحد أعضاء الوفد.»(2).

## ب-الإصلاح الديني. المناهج والبدائل:

ويأتي موضوع الإصلاح في كثير من مقالات الكتاب. وتتضمن مسألة الإصلاح رؤى جديدة تسعى إلى استجلاب بدائل مغايرة تستمد أصولها ومحتواها من الدين القويم الذي يمجد الإنسان بعد تمجيد الخالق، ويحرر فيه كل الطاقات الحيوية التي تمكنه من التفكّر، والتدبر، والتحرر من العبودية. والأمر بهذه الكيفية يكون نتاج المنهاج التربوي الذي وضعه رجال الجمعية، وعلى رأسها الدعوة إلى مبدأ التوحيد، والاستمساك بالسنة النبوية الصحيحة. وعلى هذا الأساس يأتي مقاله الموسوم بـ: الشرك ومظاهره (3). ليعالج هذه الفكرة، بعدما استشرى الدجل، وغلبت البدع، وتكلّست العقول، وغرق الناس في الشعوذة، والدروشة. يقول:" وتشكلت الجمعية سنة خمسين، فبثت الوعاظ في الجهات، وأنشأت الصحف الصادقة اللهجات، وأحدث صحفها اليوم - ونحن في سنة خمس وخمسين - صحيفة البصائر، وبها نشرنا سلسلة مقالات تحت عنوان الشرك ومظاهره."4 ويشير في هذا إلى حديث رسول الله- ص- " أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها".

واستكمالا لطريق السنة الصحيحة، المبنية على الاعتدال، المبتعدة عن الغلو والتطرف، يأتي المقال الموسوم بـ: الصوفية ومراتب العبادة. وفيه يجرد الإمام مبارك الميلي قلمه للرد على الإمام (الحافظي)(5)، الذي اتهم الإمام (عبد الحميد بن باديس) بالإساءة إلى

1) المصدر نفسه. ص296.
2) المصدر السابق. ص296.
3) ألف الميلي كتاب (رسالة الشرك ومظاهره)، ويظل الوثيقة الأساسية في انتقاد الطرق الصوفية . وقد قال: إن بعض العلماء والمتصوفة قد عارضوا دروس التفسير بدعوى أن صوابه خطأ وأن خطأه كفر. ينظر كتاب أبي القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي.. دار الغرب الإسلامي. ج4. ص338. ج7. ص11.
4) المصدر نفسه. ص269.
5) الإمام الحافظي هو أحد المنشقين على جمعية العلماء المسلمين، وقد كان عضوا في إدارتها. وأسس رفقة المنشقين جمعية سماها: جمعية علماء السنة. وصحيفة (الإخلاص). و(البلاغ). و(المعيار). ولكنهم كانوا يتخفون - حسب رأي الميلي - لتمرير أفكارهم التضليلية. وكانت تتظاهر بحماية التصوف والصوفية؛ لأنهم - في اعتقادهم - صفوة الخلق. ويقول أبو القاسم سعد الله: عند انفصال العلماء الطرقيين عن جمعية العلماء، أنشأوا جريدة باسم (الإخلاص) استمرت فترة أيضا. هذه الجريدة أسستها جمعية علماء السنة المنشقين عن جمعية العلماء. وكانت تعارض الإصلاح وتتهم أصحابه= =بالتدخل في

الصوفية. من خلال قوله تعالى:﴿ والَذيْنَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عنَّا عَذَابَ جَهَنَّم ﴾(1)، وكان ذلك في جريدة الشهاب في نص:" وزعم قوم أن أكمل أحوال العباد أن يعبد الله تعالى لا طمعا في جنته ولا خوفا من ناره" والمقصود بالقوم هم السادة الصوفية، وقد انتصر الحافظي لهذا الزعم. ولئن اشتد هذا الداعية على الإمام (ابن باديس)، وسعى إلى الحجة في إبطال أفكاره؛ فإن الإمام (مبارك الميلي) كان أشد حجة في كسر مزاعمه؛ إذ سخّر في الرد عليه رصيده العلمي التاريخي، والفقهي حول أئمة الزهد والورع الذين حفظهم التاريخ، من أمثال: ابن الجوزي، والإمام مالك، والغزالي، والشاطبي، وابن تيمية، وابن القيم، والقشيري. وأئمة البلاغة، من أمثال عبد القاهر الجرجاني، والقزويني. وعمد وفقا لذلك إلى إبراز المدلول الفقهي، والنحوي، والبلاغي بغرض إقامة الحجة، وإظهار الدليل.

وواصل الكتابة في مقالين آخرين بعنوان: عود إلى الحديث عن التصوف. وقد حاول الإمام (الميلي) من خلالهما التعرض إلى المضمون الصوفي في الثقافة العربية الإسلامية عبر التاريخ؛ إذ أقر بمراتبها، ومفاهيمها، وأصولها. ولم يُسفِّه كلَّ أفكار التصوف، وإنما أقر بالتصوف الذي لا يتنافى مع تعاليم السنة النبوية الشريفة. وقد عمد فيهما إلى إفراد قسم من كتابه الشهير (تاريخ الجزائر) إلى التعريف بالتصوف، وأعلامه، وأصل التسمية. ونشير أيضا إلى تناول الحافظي وافتراءاته في ما يقارب ستة مقالات وضعها تحت عنوان: حول ثرثرة الحافظي.

**ج- العلم والتعليم:**

يعد التعليم - في رأي جمعية العلماء المسلمين - إحدى أهم الوسائل التي يمكن أن تُخرج المجتمع الجزائري من ظلام الجهل، والتبعية إلى نور العلم، والتحرر. وتمكينا لذلك يأتي كتاب الإمام (مبارك الميلي) زاخرا بالمقالات التي تستشعر خطورة الجهل، وتحث على التبصر بالهدي النبوي الشريف، والعلم النافع، والأدب الهادف الذي يخاطب العقل والوجدان، وإحاطة العلم الديني في الزوايا بكل الرعاية التي تجعله بعيدا عن فكر الدراويش، والمشعوذين، الذين ذهب عقولهم بالوسواس، واستكانوا للتدليس، والخبال. ومن هذا المنطلق يوجه في مقال موسوم بـ: العقل الجزائري في خطر. خطابا تحميسيا كأنه على منبر، والناس أمامه خاشعون: «إن داء أقعدك يا جزائري عن التماس الفضيلة وصورها لك في لباس الرذيلة وقلب لك الحقائق، ولك سلف سلكوا أوضح الطرائق، لحري بك أن تنفق في معالجته النفيس، ولا تدخر شيئا من وسعك ووجدك لتحصيل الدواء الناجع، فقد جد الجد ووضح الصبح لذي عينين، وأنت لم تزل تسبح في بحر الخيالات وعلى بصرك غشاء من الأوهام، إن هذا الذي خالط جسمك منذ أمد ليس بالقصير هو الجهل، وليس دواء للجهل إلا العلم.»(2). وفي السياق ذاته، يأتي مقال: التعليم التعليم، الذي يشير في بدايته إلى أنه جاء بعد إحياء

السياسة ومسايرة الحداثة. وكانت جمعية علماء السنة مدعومة من الإدارة الفرنسية. وقع ذلك سنة 1932. وكان رئيس تحرير الجريدة هو الشيخ المولود الحافظي. ينظر تاريخ الجزائر الثقافي. ج5. ص261.

1) الفرقان، الآية 65.

2) المصدر السابق. ص24.

ذكرى ميلاد الرسول - ص- يقول فيه:« إن أول تعاليمه الثابتة وأولى شعائر نبوته الخاتمة هو التعليم، فإن أول خطاب تلقاه عن ربه فكان مبدأ نبوته هو الأمر بالقراءة والامتنان والتعليم وذكر القلم، هذا أول ما جاءه من الله قبل الهجرة، وهذا أول ما عني به بعد الهجرة، حيث أنه أفدى بعض أسرى بدر على أن يعلموا أبناء الأنصار الكتابة.» (1). ويقيم الحجة في تعليم البنت الكتابة، إذ اختلف معه بعض من لا يرغب في تعليمها، والدعوة إلى حجبها في البيت - في مقال موسوم بـ: تعليم المرأة الكتابة - فراح يستخرج الأسانيد التي تثبت حكم تعلم المرأة في الأحاديث النبوية الصحيحة بدل الموضوعة(2). من شاكلة الحديث الذي تنسب روايته إلى عائشة - رضي الله عنها:" لا تنزلوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور" . ويثبت في الأخير أن تعليم المرأة فيه منفعة كبيرة للأمة الجزائرية لأن بصلاحها يصلح المجتمع، وتُربى الأجيال:" وإذا انتهينا من بيان حكم تعليم الكتابة للبنت وأثبتنا أنها كالابن في ذلك، لم يبق إلا أن ننصح المسلمين بتعليم أبنائهم وبناتهم العلم النافع، ونجاح المتعلم في عصرنا متوقف على الكتابة، فالعلم مقصد والكتابة وسيلة لازمة له اليوم، فكل ما تقرؤه وتسمعه في فضيلة العلم فللكتابة حظ منه، وكل أمر بالعلم ففيه معنى الأمر بالكتابة. وفي تفسير الحافظ ابن كثير عند قوله تعالى:﴿ يَأَيُّهَا الذِيْنَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَارا ﴾عن الضحاك ومقاتل ما نصه: «حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته، وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم الله عنه» (3). وتكملة للتعليم، يأتي مقال: المعلم. ويتحدث فيه عن مميزات هذا الشخص الذي يحمل رسالة التعليم والتهذيب؛ فهو صاحب الشأن الذي ينبغي أن يكون معافى في بدنه وعقله وروحه، وهو الذي قال فيه شوقي:

**قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيْلاَ    كَادَ المُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولاَ**

«وإذا كان المعلم يستهلك نفسه وروحه فليعتض عما يفقده من قوة وما ينتابه من ضعف بما يجده من ثمرات غرسه في تلاميذه، فما هو إلا زهرة جنت منها أو عليها نحلة، ومن ذا الذي يستنكر على النحل جناها من الزهر وجنايتها عليه؟ بل من ذا الذي لا يروقه ذلك الجنى أو تلك الجناية؟»(4).

1) المصدر نفسه. ص322.
2) المصدر السابق. ص259.
3) المصدر نفسه. ص261.
4) المصدر نفسه. ص330.